الغرض الشعري مصطلحاته ومتعلقاته في النقد العربي القديم

Functions of Poetry Their Names and Related Terminology in Classical Arabic Criticism

تجيني ناصر *

جامعة ابن خلدون، تيارت

مخبر الخطاب الحجاجي: أصوله، مرجعياته وآفاقه في الجزائر

جامعة ابن خلدون، تيارت (الجزائر)

n.tedjini@cu-aflou.fr

أ د. تاج محمد

جامعة ابن خلدون، تيارت

مخبر الخطاب الحجاجي: أصوله، مرجعياته وآفاقه في الجزائر

جامعة ابن خلدون، تيارت (الجزائر)

mohamed.tadj@univ-tiaret.dz

تاريخ الاستلام:2026-04-21 تاريخ القبول:2026-05-10 تاريخ النشر:2026-06-09

ملخص:

تنوّعت أغراض الشعر واستعملت باصطلاحات متعددة مثل الفنون والأبواب والأنواع والضروب والبيوت والأركان، وتجتمع دلالات هذه الاصطلاحات على التقسيمات التي يخضع لها الشعر عند العرب وأشهرها النسيب والمدح والهجاء والفخر والوصف، ويأتي هذا المقال في هذا السياق بهدف تسليط الضوء على أغراض القصيدة عند النقاد القدامى؛ من حيث المفهوم وإشكالية المصطلح، وصولا إلى موضوع له علاقة وطيدة بالغرض الشعري عند النقاد وهو القصائد المركبة والبسيطة.

ومن خلال ما سبق نحاول في هذه الورقة البحثية الإجابة عن جملة من الأسئلة لعل أبرزها: ما مفهوم الغرض الشعري؟ وما مدى اقتراب الاصطلاحات التي أطلقها النقاد القدماء على الغرض الشعري من المعنى المراد للمصطلح؟ ثم ما هي دواعي التقسيمات المختلفة التي اتخذها النقاد القدماء لموضوعات الشعر؟

وللإجابة على الأسئلة السابقة انصب جل الاعتماد على المنهج الوصفي التحليلي باعتباره الأنسب لاستقراء النصوص النقدية وتحليلها، كذلك تمت الاستعانة ببعض آليات المنهج الإحصائي فيما يتعلق بتعديد أغراض الشعر وموضوعاته.

الكلمات المفتاحية: نقد عربي قديم، أغراض شعرية، مدح، هجاء، قصيدة، أقاويل شعرية.

Abstract:

Poetry functions have been many that has been designated by different terms including arts, chapters, types, modes, verses, and limbs. They are integrated in

indicating what relates to the classifications that poets of Arabic poetry were known by, the most famous of which are: nasīb-prelude of eroticism or love-, praise, satire, pride, and description, noting that this article comes within these divisions strives to clarify functions of poem in the opinion of early critics as far as clarifying its concept and terminology are concerned and then we reach toward a matter closely related to it which is distinguishing between the structured poem and simple poem.

Consequently this paper attempts through researching, to answer several important questions; where the most important could be summarized in three questions: What is meant by the poetic function? Do these terms agree with the meaning intended by this notion in usage by critics? What were the factors that affected classifications varied early critics used in themes of poetry?

In achieving these goals, we resort to using the descriptive-analytical methodology in the study mainly as it suits studying and analyzing texts then we use some statistics in counting functions and themes of poetry.

Keywords: Classical Arabic Criticism, Functions of Poetry, praise, Satire, Poem, Poetic discourse.

* تجيني ناصر

المقدمة:

إذا كان الوزن في الشعر يمثل الجانب الشكلي للقصيدة، فإنّ الغرض يتجلى فيه الجانب المعنوي أو المعاني التي يرسلها الشاعر، فهو الغاية التي يقصدها الشاعر من قصيدته، أو الشعر بذاته حين يسهم الغرض في تكوين النص الشعري كأن يكون وصفا خالصا لمشهد من المشاهد التي يراها الشاعر فيعمل فيه قريحته إبداعا.

والشاعر العربي ملك ناصية الشعر وطوع قوافيه لتناسب مقاصده وما يجيش في نفسه، فتنوعت أغراض الشعر وتعددت مواضيعه برحابة أفق الشاعر وتباين ظروفه وما يواجهه في الحياة، بل قد استطاع الشاعر العربي أن يؤلف بين أغراض الشعر في القصيدة الواحدة بنظم بارع وحسن تخلص متقن مثل مادة ثرية للنقاد القدماء الذين طفقوا ينظّرون ويقعدون ويبينون نواحي الإجادة والإبداع لدى الشعراء.

من هذا المنطلق جاء هذا البحث بعنوان "الغرض الشعري مصطلحاته ومتعلقاته في النقد العربي القديم" محاولة لرصد ومناقشة أهم ما أورده النقاد القدماء حول موضوع الغرض الشعري وما يرتبط به من مصطلحات وتفريعات وتعديد للموضوعات الشعرية.

أولا: مفهوم الغرض:

الغرض كما يحده "لسان العرب" هو الهدف والحاجة والبغية والقصد (ابن منظور، د ت، صفحة 3242). ولذلك كان غرض الشاعر يتضمن دائما قصدا ما. والغرض بذلك يحتمل وجهين:
إما أن يكون هدفه المتلقي نفسه كأن يكون قاصدا مدح شخص ما أو رفع مكانته أو هجائه والحط من قدره، فيكون بذلك الغرض هو الهدف الذي يتجاوز به الشاعر القصيدة وصولا إلى غاية معينة هي إرضاء الآخر وكسبه أو نيل عطائه أو التشفي فيه، وهو بذلك قصد شيء أو شخص خارجي.

تنبني التجارب الشعرية في العادة ولدى العرب على مجالات من الدلالة تشكّل حقلا ترصف عبره الصور، كالحبيب مثلا أو مرابع الصبي والشباب أو طيف الأحبة في الغزل، إذ نجد الأقوال الشعرية تتصل اتصالا وثيقا بهذه الحقول وهذا تماما ما يجعلها ترتبط ارتباطا بالأغراض الإنسانية. ومن أجل ذلك تنتقل هذه الحقول إلى محاور منفتحة تتناسل فيها المعاني، وتُلتقط من خلالها الخواطر وذلك حسب ما يتيحه كل حقل منها من إمكانات تعبيرية.

أما الوجه الثاني فهو ألا يكون للشاعر مطلب أو غاية من جراء قوله الشعر، إنما يكون الغرض هو الشعر نفسه كأن يصف حيوانا ونحوه بحيث يشكل مرجعا أو واقعا تشكيليا فهو بذلك قصد داخلي يباين الوجه الأول.

يتبين مما سبق ذكره أن تحديد الأغراض الشعرية هو مرتبط بالأساس مع طبيعة العلاقة التي يخلقها المبدع مع موضوعه؛ فلربما كان هذا الموضوع أو التيمة غاية في حدّ ذاتها بوصفها خلفية مباشرة للنظم، كما هو الأمر أثناء النظم في النسيب والهجاء والمدوح، أو كما هو الحال في الاعتذار أو الفخر، أو ربما تحول إلى مجرد مادة جمالية فنية تُعاد صياغتها داخل نسق التقاليد التعبيرية في فن الشعر، كما هو الحال في الوصف، أو في التوجه والنزوع إلى التأمل واعتزال الناس والتشكي من الزمان ونائبات الدهر، هنا يتحول الموضوع إلى إطار تنبني من خلاله التجربة الشعرية برمتها لا أن يصبح غاية قائمة بذاتها.

ينبغي التنويه هنا إلى أن الأغراض الشعرية لا نفهمها بكونها (أنواعًا) بالقصد الحرفي للكلمة، إنما هي أقرب ما تكون إلى الحقول الدلالية والتي تختلف حتما بحمولتها التعبيرية وما تحويه من خصائص لغوية. إلاّ أن هذا المنزع أو التصور النقدي كان لدى القدماء حيث تعامل معها معتبرا إياها تصنيفات وقوالب جاهزة للنظم الشعري، فألحقها

بحقل الأنواع لتسهل وتتيسر عملية التمييز بينها، دون أن نغفل أنهم قد أقروا تداخلها أحيانا أو على الأقل تجاورها ضمن النص الواحد، وذلك ما سنتطرق إليه في الموضع التالي.

ثانيا: إشكالية المصطلح:

الملاحظ أن النقاد العرب قدماء ومحدثين يختلفون في تحديد مصطلح موضوعات الشعر وأغراضه. فقدامه بن جعفر يطلق عليها "أغراض الشعر" (قدامة بن جعفر، د ت، صفحة 95)، وابن رشيق يسميها "أركان الشعر" (ابن رشيق، 1981، صفحة 120)، وابن سلام وأبو هلال العسكري يسميانها "فنون الشعر" ونفس الشيء عند عبد القاهر الجرجاني حين يدعو إلى تأمل حال العرب في تقديمهم الشاعر في فن من الفنون.

ويتابع ابن طباطبا الفارابيّ في استعمال مصطلح "أقاويل شعرية" ويرى بذلك أن الأغراض هي تنوع لتلك الأقاويل (الفارابي، 2001، صفحة 158).

ومنهم من ينظر إلى نظم الشعر على أنه تتقاسمه فنون كثيرة يتعامل معها المبدع حسبما يقتضيه التعبير، ولربما أطلقوا على كل صنف منها صفة (الجنس) لكونه مجالًا دلاليًا مائزًا عن غيره. وبعد ذلك يُمكن للشاعر أن يتجول في معانيه بين جنس وآخر، ومن ذلك أن يتحول من الغزل إلى المديح مثلا، بما يحقق طبعا تنويعات في الخطاب والتيمات ويُعطي التجربة الشعرية زخما حيوية وتجدّدًا.

وسنكتفي بذكر هذه النماذج مثالا لا حصرا وذلك للتدليل على تنوع الاصطلاحات التي أطلقها النقاد القدامى على الأغراض، وقد تبعهم النقاد المعاصرون في هذا التنوع فسموها "فنون الشعر" أو "اتجاهات الشعر".

ويظهر لنا أن جزءاً ليس بهين من هذه المصطلحات يشوبه القصور على مستويي الدقة والوضوح في نقل المعنى المراد، كما يميزها التعميم، مما يجعل حدودها الدلالية غير مضبوطة بالقدر الكافي، مما يجعلها بعيدة عن تأدية وظيفتها في تحديد المفهوم الصارم.

ويظهر هذا الاضطراب المصطلحي بصورة بارزة في تعامل النقاد مع مصطلح "الموضوع"، إذ اختلفت تصوراتهم في تحديد مجالاته، فمرة يُفهم على أنه مادة القول أو مرجعياته الخارجية، ومرة يُنظر إليه على أنه بناء دلالي يتشكل داخل القول الشعري، وهذا ما سبب نوعا من التذبذب في استعماله في مجال النقد الأدبي.

إضافة إلى أن هذا الغموض لا علاقة له بالمصطلح في ذاته فحسب، وإنما له صلة كذلك بالتداخل في مستويات التحليل بين ما له علاقة باللغوي وما له علاقة بدلالة وما له علاقة بالسياق، وهذا ختما سيجعل المصطلح عرضة

لتعدد واختلاف التأويلات وزوايا النظر، لذلك نؤثر استعمال اصطلاح "الغرض" لشهرته ورواجه الكبير في الدراسات الأدبية والنقدية العربية.

وفيما يلي تبيان لقصور بعض تلك الاصطلاحات عن تأدية المعنى المراد دراسته في هذا البحث.

أما مصطلح " أركان الشعر" فيدلل على مكونات النص الشعري أو القصيدة، كالبنية اللفظية والمعنوية كذلك الوزن والقافية وغيرها، فهو بهذا لا يشير إلى اتجاهات القصيدة وموضوعاتها.

يفتقر مصطلح (فنون الشعر) إلى الدقة والصرامة في تحديد مدلوله، إذ يبقى عامًا فضفاضا وغير مضبوط بما يتوافق مع طبيعة الظاهرة التي جُعل للدلالة عليها، مما يؤدي إلى ضعف وضوحه في الاستعمال النقدي، وحتى مصطلح "جنس" الذي وضعه ابن طباطبا يصرف الذهن إلى أنه يمثل تحديد شكل أدبي معين كان يكون شعرا أو نثراً.

ثالثا: تعديد النقاد العرب لأغراض الشعر:

يمكننا أن نسمى هذا الاتجاه بالانتقاء التحليلي؛ لأنه يعمد إلى انتقاء أغراض الشعر الأكثر حضورًا وشيوعًا في المدونة الأدبية العربية، لأنها تشكل النواة المركزية التي انبني عليها التحليل النقدي قديما، إثر ذلك يلجأ إلى مدارستها واستكشاف الخصائص الفنية والدلالية التي تميزها.

وتظهر في هذا النوع من التصنيف صورتان أساسيتان: فيمكن أن يكون تصنيفًا مُعلنًا، يصرّح من خلاله الناقد منذ الانطلاقة بأصناف هذه الأغراض، ويجعلها في إطار منهجي واضح لتنظيم قراءته، ويمكن أن يكون تصنيفًا ضمنيًا دون تصريح، فيتوالى تحليل الأغراض داخل العمل النقدي دونما مهادٍ نظريٍّ مباشر، فتتمظهر ملامحها بشكل تدريجيّ عبر تتبع النصوص ومقاربة مضامينها، ونحن بدورنا نميل أيضا إلى اختيار الأشهر من تلك الآراء ونقتصر عليها، وذلك مراعاة للاختصار وعدم الإطناب.

فمثلما اختلف النقاد في تحديد الاصطلاحات الدالة على مواضيع القصيدة كان الشأن ذاته في تعديدهم لتلك المواضيع وتبويبها.

فأبو تمام يضع لها أبوابا عشرا هي: باب الحماسة وباب المراثي وباب الأدب وباب النسيب وباب الهجاء وباب المديح وباب الأضياف وباب الصفات وباب البير وباب الملح وباب مذمة النساء (أبو تمام، 1998، صفحة 7).

وأعقبه قدامة بن جعفر الذي جعلها ستة وهي: المديح والهجاء والنسيب والمراثي والوصف والتشبيه (قدامة بن جعفر، د ت، صفحة 91).

يُنسب إلى قدامة بن جعفر أنه قد حصر مواضيع القصيدة العربية قديما في أربعة محاور أساسية وهي: المديح، والهجاء، والحكمة، واللهو. ولا يبتعد أبو هلال العسكري كثيرا عن هذا التصنيف، إلا أنه يُغير أحد هذه المحاور، فيستبدل التشبيه بالفخر. وفي كتابه ديوان المعاني، فنجده يتجه إلى توسعة هذا التقسيم أو التصنيف، إذ يرفع عدد الموضوعات إلى اثني عشر موضوعا، في محاولة منه إلى الإحاطة بشكل أوسع بتنوع التجربة الشعرية وتعدد مجالاتها.

من خلال تتبعنا لبعض الآراء النقدية ظهر لنا أن تفريع موضوعات الخطاب الشعري لم يستقر على صورة موحدة، وإنما ظلّ خاضعا لتوجهات متعددة؛ فقد وجدنا اتجاها يجعلها خمسة فروع رئيسة هي: النسيب، والمدح، والهجاء، والفخر، والوصف، مع دمج عناصر لها كالتشبيه والاستعارة ضمن إطار الوصف، باعتبارها آليات تعبيرية تقوم على خدمته لا بكونها أغراضًا مستقلة بنفسها، وتشي وجهة النظر هذه إلى الميل إلى حصر عدد الأغراض الشعرية وإعادة هيكلتها وفق تصور منطقي ووظيفي يربط بين الموضوع ووسائل التعبير داخله.

كما يُفهم من بعض وجهات النظر النقدية أن موضوعات الشعر يمكن حصرها في أربعة محاور أساسية هي: المديح، والهجاء، والحكمة، واللهو، على أن يتفرع كل محور منها إلى فنون ثانوية تتناسل عنه، فالمديح مثلا يتشعب إلى المراثي والافتخار والشكر أو يمكن اعتبارها امتدادا له، والهجاء يندرج ضمنه الذم والعتاب، في حين يتفرع عن الحكمة الأمثال والمواعظ والزهد، وفي المقابل يحوي اللهو فنونًا كالغزل والطرد ووصف الخمر ومجالسها، ويوحي هذا التصور عن نزوع تصنيفي يقوم على ترصيف هرمي يربط بين الأغراض الأساسية وفروعها، بما يساعد على إبراز تداخلها واتساع مجالاتها داخل الخطاب الشعري.

ومن خلال تجوالنا في ثنايا المصنفات النقدية يمكننا أن نستخلص اتجاها نقديا يحصر كل الأغراض الشعرية في قطبين رئيسيين هما: المدح والهجاء، كونهما الأساس الذي تنبني أو تتفرع عنه باقي موضوعات الشعر كلها، لأن كل ما له علاقة بإبراز المحاسن والتغني بالقيم الإيجابية وهذا يندرج ضمن دائرة المدح، كالرثاء والافتخار والتشبيب وما له صلة بالوصف الحسن، إضافة إلى مجالات الحكمة والأمثال والمواعظ والزهد، ويقابل كل ذلك الهجاء كونه مجالا للتعبير عن النقص والذم، في حين أن العتاب يقع في منزلة وسط بين الطرفين، لأنه تتجاذبه الإشادة والإنكار، مما يجعله متصلاً بكليهم، «وكذلك الإغراء ليس بمديح ولا هجاء لأنك لا تغري بإنسان فتقول: إنه حقير ولا ذليل إلا كان عليك وعلى المغري الدرك، ولا تقصد أيضا بمدحه الثناء عليه فيكون ذلك على وجهه» (ابن رشيق، 1981، صفحة 121).

لقد تعمدت ذكر هذا النص لما فيه من تفصيل دقيق لأغراض الشعر وربطها بموضوعين اثنين هما "المدح" و"الهجاء" اللذان يعتبران المصدر الذي تنبثق عنه بقية الأغراض وإن اختلفت مسمياتها لذلك يشترك جل النقاد على ذكر الغرضين فيما رقموا من كتب.

أما حازم القرطاجني فنجده قد خالف ما سبقه من تقسيمات، من منطلق رؤيته لشيء من التداخل والنقص أحيانا، ومن هنا يقسم الموضوعات الشعرية أقساما أربعة تتمثل في التهاني ومتعلقاتها، والتعازي وما يصاحبها، والمدائح وتوابعها، والأهاجي وما معها (نور الدين السد، 2007، صفحة 179).

وفي هذا الصدد يجمل حازم القوم في تقسيم الموضوعات الشعرية بعد تفصيل بقوله: «فإذن تنقسم الأقوال فيما حصل ممّا شأنه أن يطلب أو يهرب عنه إلى تهان وما معها، وتعاز وما معها، ومدائح وما معها، وأهاج وما معها» (حازم القرطاجني، 1986، صفحة 339).

ويكون حازم بذلك قد أضاف إلى الموضوعات التي سبقه النقاد إلى ذكرها، أضاف إلى كل موضوع ما يلحقه من موضوعات فرعية.

نلتمس من كل ما سبق أن القدماء وإن اختلفوا في عد الأغراض إلا أن جلهم ذكر المدح والهجاء وأقام عليهما تفريعات وتنويعات، ولعل أسباب تفضيلهم للموضوعات الأربع وهي: المدح والهجاء والنسيب والفخر، ترجع إلى إيثار العرب لها لوثيق صلتها بحياتهم اليومية وشعورهم، فالنسيب تصوير للجوانح وإبانة عن نوازع الفؤاد، ساعد على ذلك كثرة الغناء وبراعة المغنين في اختيار روائع القصائد الموائمة للغناء مضمونا وشكلا، والنسيب إلى ذلك وصف لما يكابده المحبون من صبابة وحرقة، أما باقي الأغراض فتعد مرآة عاكسة للحياة الاجتماعية للعرب بعصبيتها ونضالها وطرقها في كسب العيش «ويظهر لنا أن قيمة الشعر تتجلى في قدرته على تصوير الحياة الروحية والاجتماعية للإنسان بصدق، فكلما بدى أشد وأقرب تعبيرًا عن هذه الأبعاد كان ذا شأن رفيع، وكلما زاد عمقه ودقته في تصويرها كان أقرب بمكان إلى تحقيق جوهر الشعرية» (طه أحمد إبراهيم، 2004، صفحة 62)، ولكن إبداع الشاعر العربي لم يقتصر على التصور ضمن نطاق غرض معين، بل تعداه إلى الجمع بين أغراض الشعر المختلفة في قصيد واحد، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على قدرة الشاعر على حسن التخلص والانتقال من غرض إلى غرض في سلاسة تجعل المتلقي لا ينتبه لهذا الانتقال أو يشعر بفجوة جرّاءه، وهذا كلام يقودنا إلى تناول القصائد البسيطة والمركبة ضمن المبحث الموالي.

رابعا: القصيدة البسيطة والمركبة:

لهذا الموضوع علاقة وطيدة بالغرض الشعري، لأن تقسيم القصائد إلى بسيطة ومركبة يعود بالدرجة الأولى إلى موضوعاتها، فإذا كانت القصيدة تعالج موضوعا واحدا سميت بسيطة، وإذا اتسعت لأغراض جمة صارت مركبة.

وفي هذا الصدد ميّز حازم القرطاجني بين نوعين من القصائد: بسيط ومركب، فالمركب هو القصائد التي تتضمن أكثر من غرض، كأن يشتمل الكلام فيها على غرضي المدح والنسيب في آن، وهذا ما يوافق النفوس والطباع.

ومن الوهلة الأولى تلمح من هذا التعريف ولع حازم بالتناسب لموافقته النفوس وهو أمر يتكرر معه في كثير من الفصول ضمن سفره القيّم "منهاج البلغاء وسراج الأدباء".

ويرى حازم في معرض حديثه عن تنوع الأغراض في القصيدة المركبة أن هذا التركيب والتنوع ليس اعتباطا إنما مرده إلى طبيعة النفس التي جبلت على حب التنقل، هذا التنقل الذي يدفع السأم الناتج عن تكرار النمط، وهذا ما يعكس شخصية الشاعر العربي ويصور حياته القائمة على الترحال الدائم الأمر الذي يمكنه من التأمل فيما يقابله أثناء رحلته فيصور ذلك شعرا رصينا.

وينتصر حازم القرطاجني للشاعر الذي لديه القدرة على إنشاء القصائد المركبة، وذلك من خلال اقتداره على التعبير والتأليف بين المعاني وتوليد بعضها من بعض مما يوافق النفوس، علاوة على أنها تكون طويلة وذلك ما نلمسه جلياً من خلال قراءتنا للمعلقات الجاهلية.

والقصيدة المركبة على تعدد أغراضها تحمل في طياتها وحدة نفسية عميقة يمكن للمتلقي استشعارها، فهي غنية فنية ومشبعة بالدلالات يحكمها خيط نفسي ناظم يضفي عليها نوعا من الانسجام.

ولعل خير ما يمثل القصائد المركبة، الشعر الجاهلي والذي تتنوع موضوعات قصائده وفق نمط معين. فالشاعر ينتقل من ذكر الأطلال الدارسة والديار الماحلة والبكاء عليها، إلى وصف المحبوب، ثم وصف الرحلة والراحلة وهكذا... فأمر بناء الشعر الجاهلي معروف وطرفه مبثوثة في كتب النقاد لمن أراد الاستزادة.

أما القصيدة البسيطة، فهي التي تستقل بموضوع واحد وتعالجه عبر أبياتها ولا تحيد به إلى غيره.

وقد عرفها حازم القرطاجني بقوله أن القصائد منها بسيطة الأغراض ومنها مركبة، والبسيطة مثل القصائد التي تكون مدحاً صرفاً أو رثاء صرفا أو غيرها من الأغراض التي تلمس فيها وحدة موضوعية تمثلت فيها أصدق تمثيل (سعد بوفلاقة، 2007، صفحة 177)، ولعل أبرز الأمثلة عن القصائد البسيطة تلكم المرثيات التي اشتهرت في العصر الجاهلي والعصور اللاحقة كرثاء الخنساء لأخيها صخرا، وكذلك مرثية أبو ذؤيب الهذلي لأولاده وبكاء متمم بن نويرة أخاه مالكا.

والقصيدة البسيطة تتباين في الطول والقصر، يرجع ذلك إلى درجة اقتدار الشعراء وتفاوتهم في الإمكانات التعبيرية والفنية والتجربة الشعرية (نور الدين السد، 2007، صفحة 31)، فليس الشعراء كلهم سواء في القدرة على النظم والاسترسال والتفاوت فيه طولا وقصرا.

وإذا كان شعراء المعلقات يمثلون القصيدة المركبة متنوعة الموضوعات، فإن الشعراء الصعاليك خير من يمثل القصيدة الجاهلية البسيطة مستقلة الموضوع، ومثالهم عروة بن الورد في قصيدته التي مطلعها:

أقلي عَلَيَّ اللَّوْمَ يا بنتَ مُنْذِرٍ وَنَامِي وَإِنْ لم تَشْتَهِي النَّوْمَ فَاسْهَرِي (عروة بن الورد، 1998، صفحة 67)

وبما أن الشعر لا يقتصر على الرجال دون النساء، نذكر في هذا الموضع أن الشعر النسوي كان له حضور في ديوان العرب، غير أن له خاصية امتاز بها دون غيره من شعر الرجال، فالملاحظ أن الشاعرات العربيات على مرّ العصور لم يتقيدن بالقصيدة المركبة، فكن يتخلّصن من المقدمات الطللية والغزلية، ويترعن إلى نظم القصائد البسيطة، لذلك لم تكن أغراضهن الشعرية متداخلة، زد على ذلك حرصهن على الوحدة الموضوعية.

ومرجع ذلك إلى أن المنهج التقليدي للقصيدة العربية المركبة غير متّسق بطبعه مع الطابع النسائي، إذ لا يليق بالمرأة أن تقف على الأطلال تبكي الحبيب أو تتغزل في رحل أو تصور رحلة القوم أو حتى رحلتها إلى الممدوح عبر أجواء الصحراء المخيفة وما يشبه ذلك من مواقف تتلاءم مع طبيعة الرجال وبخاصة منهم شعراء المدح المتكسّب المحترف (سعد بوفلاقة، 2007، صفحة 179)، وهو تحليل صائب يتواءم وطبيعة المرأة المشرقية في سابق العصور ولاحقها.

الخـاتمة:

بعد الفراغ من هذه الورقة البحثية حول الأغراض الشعرية ومتعلقاتها، يمكننا حصر أهم النقاط التي تناولناها في الآتي:

- تعتبر القصدية عاملا محددا لمفهوم "الغرض الشعري" كأن يتقصد الشاعر مدح شخص ما أو الحط من قدره فيتكون بذلك غرضي المدح والهجاء، غير أن هذه القصدية ليست حاسمة في هذا التحديد فقد يكون الغرض مرجعا أو واقعا تشكيليا وذلك مثل الوصف الذي يجعل الشعر غرضا في حد ذاته.

- اختلف النقاد العرب القدماء في تحديد اصطلاح جامع مانع لأغراض الشعر، وقد وظفوا مصطلحات يحمل كل منها جوانب قصور في تحصيل المعنى المراد.

- مثلما اختلف النقاد في تحديد اصطلاح موحد لأغراض الشعر؛ اختلفوا كذلك في تعديد موضوعاته، فهناك من يجعلها أربعة أو ستة، وهناك من يرى أنها عشرة، وثالث يعدها اثنتي عشرة، غير أن ابن رشيق القيرواني ـ بعد ذكره لهذه الاختلافات ـ يردّ موضوعات الشعر كلها لغرضي المدح والهجاء؛ وما سواهما ما هو إلا تفريعات تنتج بالضرورة عنهما.

- ينفرد حازم القرطاجني عن سابقيه بأن قد أضاف إلى أغراض الشعر المعروفة ما يلحقها من موضوعات فرعية، فيرى أن الأغراض الشعرية هي التهاني ومتعلقاتها، والتعازي وما يصاحبها، والمدائح وتوابعها، والأهاجي وما معها.

- يتميز الشعر العربي القديم بنوعين من القصيد؛ قصائد بسيطة ذات الغرض الواحد والتي يمثلها الشعراء الصعاليك ذوي النزعة الفردية وكذلك شعراء المراثي كالخنساء وأبي ذؤيب الهذلي ومتمم بن نورية ومالك بن الريب وغيرهم، أما القصائد المركبة فهي التي تتداخل فيها الأغراض الشعرية وتتجلى في ثناياها قدرة الشاعر على حسن التخلص من غرض إلى غرض وذلك لطولها وتنوع أغراضها وفقا لما يراه الشاعر ويحس به، ولعلّ خير ما يمثلها هو المعلقات التي تعد من عيون الشعر العربي القديم.

وفي نهاية هذا البحث نجد أن النقاد القدماء رغم تفصيلهم في موضوع الشعر وأغراضه إلا أنهم تركوا المجال مفتوحا لمن أراد أن يبحث ويعمل فيه الفكر والقلم.

قائمة المراجع:

1. ابن رشيق. (1981). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده. بيروت، لبنان: دار الجيل.
2. ابن منظور. (د ت). لسان العرب. القاهرة: دار المعارف.
3. أبو تمام. (1998). ديوان الحماسة (الإصدار 1). (أحمد حسن سبع، المحقق) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
4. الفارابي. (2001). مقالة في قوانين صناعة الشعراء، ضمن كتاب: فن الشعر لأرسطو. (عبد الرحمان بدوي، المترجمون) بيروت، لبنان: دار الثقافة.
5. حازم القرطاجني. (1986). منهاج البلغاء وسراج الأدباء. (محمد الحبيب بن الخوجة، المحقق) بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
6. سعد بوفلاقة. (2007). الشعريات العربية: المفاهيم والأنواع والأنماط. عنابة، الجزائر: منشورات بونة للبحوث والدراسات.
7. طه أحمد إبراهيم. (2004). تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع هجري. مكة: المكتبة الفيصلية.
8. عروة بن الورد. (1998). ديوان عروة بن الورد. (أسماء أبو بكر محمد، المحقق) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
9. قدامة بن جعفر. (د ت). نقد الشعر. (محمد عبد المنعم خفاجي، المحقق) بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
10. نور الدين السد. (2007). الشعرية العربية دراسة في التطور الفني للقصيدة العربية حتى العصر العباسي. بن عكنون، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.